«الحروب الصليبية والقدس من خلال مناهج التاريخ في المدارس الأجنبية الخاصة بدولة الإمارات العربية المتحدة»

د. موسى حتاملة ●

مقدمة:

تحتل القدس مكانة مرموقة في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وواجهت هذه المدينة الكثير من الغزوات والحروب الدامية على مر التاريخ ، ولم تنعم بالراحة والرخاء إلا في ظل الإسلام والمسلمين. فعاش الجميع بأمان ، المسلم منهم وغير المسلم. ويشهد على ذلك تسليم البطريرك صفرونيوس مفاتيح المدينة للخليفة عمر بن الخطاب وذلك لعدله وورعه.

وأصاب أهل القدس الخير والثراء واستتب الأمن وازدهرت التجارة وتطورت الصناعة. إلا أن الحال لم تبق على ما هى عليه، فبعد فتح القدس على يد المسلمين بثلاثة قرون، بدأت الدول الغربية تعد العدة لاحتلال القدس وتحويلها إلى مملكة مسيحية. واتخذت الدول الغربية ذرائع متعددة في سبيل تبرير حملاتها وهجماتها البربرية على مدينة القدس التي انتهت بالمجازر الوحشية وإبادة عشرات الألوف من سكان المدينة المقدسة. إلى أن قيض الله لهذه الأمة البطل

● الكلية الإنجليزية – دبي

صلاح الدين الأيوبي ، فوحد الأمة وأزال الغّمة ، وأعاد القدس لأصحابها الشرعيين. ورحل الصليبيون تاركين وراءهم العداوة والبغضاء ، وقتل الألوف دون ذنب اقترفوه.

هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى التأثير الذي تتركه مناهج مادة التاريخ بالمدارس الخاصة على الطلبة عن طريق الدور الذي تؤديه هذه المدارس في تشكيل الرأي العام حول أهمية ومكانة المدينة المقدسة ومكانتها الإسلامية.

حدود الدراسة :

1. تتعلق هذه الدراسة بعينة محدودة من كتب التاريخ المقررة في بعض المدارس الأجنبية الخاصة بدولة الإمارات العربية المتحدة.
2. تتعلق هذه الدراسة بمنطقة جغرافية معينة وهي الإمارات العربية المتحدة.
3. تتناول هذه الدراسة المقررات الدراسية لمادة التاريخ في المرحلتين الإعدادية والثانوية في المدارس الأجنبية.
4. تتعلق نتائج هذه الدراسة بعينة كتب التاريخ للمرحلتين الإعدادية والثانوية ، التي أرسلت من قبل المدارس الأجنبية الخاصة ، ولا يُعلَم إذا كانت هناك بعض الكتب لم ترسل إلى الوزارة ولم يتسلمها الباحث.
5. تتعلق هذه الدراسة بالمدينة المقدسة والصراع الذي دار حولها بين المسلمين والصليبيين كما ورد في مقررات مادة التاريخ التي تدرس في بعض المدارس الأجنبية.

أهمية هذه الدراسة :

1. معرفة التأثير الذي تتركه هذه المواد على أفكار التلاميذ.
2. توعية المسؤولين بوزارة التربية والتعليم بالتأثير السلبي الذي تتركه هذه الكتب على أبنائنا ، وذلك من أجل القيام بخطوات إيجابية يمكن تبنيها في سبيل ضبط مناهج المدارس الأجنبية الخاصة وتعديلها بما يتناسب والحقائق التاريخية.
3. يتوقع أن توجه هذه الدراسة أنظار الكفاءات التربوية في وزارة التربية والتعليم لممارسة دورها في المشاركة في تعديل المناهج ، وتبني طرق جديدة لبنائها ولتكسب ثقة أولياء الأمور والتلاميذ.
4. يتوقع أن توجه هذه الدراسة إلى أهمية الوعي بدراسة الحروب الصليبية من منظور سياسي ، وذلك لخدمة الحاضر والمستقبل.

تحديد المصطلحات:

الحروب الصليبية:

ورد في الموسوعة البريطانية تعريفاً للحملات الصليبية بأنها « سلسلة من الحملات العسكرية تبلغ ثماني حملات أو تزيد ، وهي موجهة ضد المسلمين المسيطرين على القدس والأضرحة المسيحية والأماكن المقدسة. واستمرت هذه الحملات من 1095م - 1270م. (الموسوعة البريطانية / جـ3 / ص 764)

وهذا التعريف لا يوافق الحقيقة ، لأنه يمثل وجهة نظر المستعمر. لذلك أرى أن التعريف لهذه الحملات يجب أن يلامس الحقائق على أرض الواقع. فالحروب الصليبية هي حروب ظالمة ، ظاهرها حماية الحجاج المسيحيين الذين يزورون الأماكن المقدسة من عدوان المسلمين عليهم كما يدّعون ، وباطنها أهداف اقتصادية وسياسية ودينية بحتة.

الصراع الصليبي - الإسلامي

هو الصراع الذي بدأه الصليبيون في القرون الوسطى ، حيث أدت الكنيسة الكاثوليكية دوراً رئيسياً في عملية الغزو الصليبي الأوروبي لفلسطين وبلاد المشرق الإسلامية ، وذلك في الفترة الممتدة من أواخر القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر.

المدارس الخاصة الأجنبية :

هي المدارس التي تتبع نظاماً من أنظمة التعليم التابعة للتعليم الخاص بدولة الإمارات المتحدة. وهي تطبق المناهج المتبعة في البلد الأم (بريطانيا، الولايات المتحدة، استراليا، كندا) وهي تشمل مستوياتٍ مختلفةٍ. مثال ذلك في المدارس البريطانية، وهي على الترتيب: مستوى الـ (GCSE)والـ(O Level) والـ(A Level).

وهذه المدارس أنشئت بموجب قانون التعليم الخاص بوزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة.

منهج الدراسة وأدواتها:

اتبع الباحث طريقة تحليل المحتوى ، والذي يعرفه بد ودنهو (Budd and Donohew ، 87) "بأنه أسلوب بحث منظم لتحليل المحتوى" والذي يهدف للوصول إلى استدلالات والربط بين النتائج وموازنتها ، من أجل الكشف عن السمات الكامنة ، أو الاستدلال على خصائص معينة. فباتباع هذه الطريقة يمكن لنا معرفة كيفية إنتاج الصورة كما رسمتها مناهج التاريخ في المدارس الأجنبية الخاصة.

وقد تم إرسال رسالة من قسم التعليم الخاص إلى جميع المدارس الخاصة طُلِبَ منها ، بأن ترسل نماذج من الكتب المقررة في المرحلتين الثانوية والإعدادية ، وذلك بواقع نسخة من كل كتاب وكان من ضمنها كتب مادة التاريخ. وعند تلقي هذه الكتب، أخذ الباحث كتب التاريخ وقام بدراستها والتركيز على كل ما يتعلق بموضوع مدينة القدس بدءاً من الحروب الصليبية، وحتى انتهائها.

وسنعرض النتائج تحت عنوان

«الحروب الصليبية والقدس من خلال مناهج التاريخ في المدارس الأجنبية الخاصة بدولة الإمارات العربية المتحدة»

عينة الدراسة :

تشمل عينة الدراسة مجموعة من كتب التاريخ تدرس في المدارس الخاصة الأجنبية بدولة الإمارات العربية المتحدة حسب الكشف الملحق بالدراسة.

أسباب الحروب الصليبية :

سيورد الباحث أسباب هذه الحروب كما وردت في بعض كتب التاريخ المقررة في المدارس الخاصة الأجنبية ، وذلك من وجهة نظر مؤلفي كتب التاريخ في هذه المدارس. لقد أورد مؤلفو كتب التاريخ التي يدرسها طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية في هذه المدارس أسباباً مختلفة تقف وراء هذه الحملات الصليبية المسلحة. ووجهات النظر هذه مختلفة من كاتب إلى آخر ، مما يدل على التخبط وعدم وضوح الرؤيا لديهم بخصوص هذه الحروب أو الحملات. فهناك فريق يرى أن هذه الحملات ما هي إلا حملات دينيّة ، ويستند في ذلك إلى رأي رأس الكنيسة الغربية البابا (أوربان) الثاني المحرض عليها والذي يعتبر أنّ هدفها سامٍ ، وهو تخليص الأماكن المقدسة من أيدي الكفار. وما داموا كفارا – كما وصفهم – لذلك يجب أن يرفعوا أيديهم ويتخلوا عن حماية هذه الأماكن المقدسة ويتركوها لأصحابها. ويرى البابا (أوربان) "أن المسيحيين وليس المسلمين يجب أن يحكموا الأراضي المقدسة" (Chrisp، 1992)

تعتبر هذه التصريحات بمثابة فتوى من رأس الهرم في الكنيسة أو السلطة الدينية وهو البابا.

وفي تلك الفترة الزمنية يعتبر البابا صاحب الكلمه العليا ، فكلامه وآراؤه تخضع لها الرقاب ، ولا يجرؤ أحد على معارضتها. لذلك استجابت حشود الجماهير في كل مكان للبابا أوربان ، وأعدوا العدّة لأول حرب صليبية خارج حدود أراضيهم.

ويؤيد وجهة نظر البابا أوربان كثير من مؤرخي الغرب ، ورد على لسان هيامسون الذي يقول: "إن الصليبيين أتوا إلى الشرق ؛ لتحرير مسيحييها من الظلم الإسلامي!!". (Hyamson، 1917) أما ليمو (Limmo، 1992) فيرى أنّ أحد أهداف الحروب الصليبية: " أن يكون النصارى في أوروبا الغربية قادرين على زيارة الأضرحة المقدسة في القدس".

ويرى مؤرخ آخر ما يراه سابقه فيقول : كاتشبول بريان (Brian, 1993) :

"منذ قرون كان المسيحيون يحجون إلى فلسطين ، حيث كان يعيش المسيح. وفي القرن الحادي عشر ومن خلال الطرق الجديدة التي فتحت من هنغاريا وصقلية التي كان يحكمها النورمان. وبدأ الحجاج يتزايدون تدريجياً ويقومون برحلات إلى فلسطين. إنّ القدس التي كانت في قبضة المسلمين الأتراك ، أصبحت المحطة التي يتطلع إليها الفرنج والفرسان النورمانديون. وبعد عودة الفرسان من تجوالهم في فلسطين ، أخذوا ينشرون الأفكار التي تشجع على تحقّيق انتصار عسكري سهل على الأراضي في الشرق. وكان حجاجٌ أوروبيون آخرون غاضبين بسبب سيطرة المسلمين على الأرض التي عاش فيها المسيح. وكان الأمل معقوداً لحماية الأراضي الجديدة وهذه المشاعر الدينية خلصت إلى تدبير خطةٍ للسيطرة على الأراضي المقدسة.

وهناك اختلاف في وجهات النظر حول مقاصد الصليبيين من الحروب الصليبية. هناك نفر من هؤلاء المؤرخين ، يرد مقاصد هذه الحروب إلى أسباب اقتصادية ، حيث كان الاقطاع منتشراً في أوروبا والصراعات مستمرة بين العبيد والأسياد ، والكوارث والمجاعات مستمرة. لذلك انطلقوا بمغامرة كبرى نحو الشرق الغني بثرواته لعلهم يتخلصون من الفقر والبؤس الذي هم فيه.

ويعزو عدد من المؤرخين أسباب الحروب الصليبية إلى رغبة الإقطاعيين في التوسع وإيجاد إقطاعيات جديدة وفتح أسواق للتجارة.

يقول مؤرخُ غربي معاصر للحروب الصليبية فولشر ديشارتر(Fulcher De Charter,112o):

"تأمل كيف أنّه في زماننا نقل الربّ الغرب إلى الشرق ، فمن كانوا غربيين أصبحوا الآن شرقيين ، ومن كانوا رومانياً أو فرنج أصبحوا الآن جليليين أو فلسطينيين ... ومن كانوا فقراء في الغرب جعلهم الله أغنياء في هذه الأرض، ومن لم يكن يملك بيتاً، أصبح (بفضل الله) يملك مدينةً. إنها رغبة الربّ أن يجعلنا جميعاً أغنياء ، ولانّها مشيئة الربّ فنحن نستحقّ ذلك".

ويؤكّد فريقٌ من المؤرخين على أن السبب الحقيقي لهذه الحملة كان رغبة الإقطاعيين في التوسع وإيجاد إقطاعيات جديدةٍ وفتح أسواقٍ للتجارة، وخاصةً المدن أو الدول التجارية الإيطالية

المشهورة في ذلك الوقت مثل جنوى والبندقية وغيرها من المدن الأخرى. وود (Wood، 1995) ومن خلال النظر في هذه الآراء ووجهات النظر، نرى فريقا آخر من المؤرخين لديهم أسباب أو مقاصد أخرى من هذه الحروب. يقول المؤرخ البريطاني السير هنري لوك (Luke ، 1934):

«لقد كان منشطو الصليبية تحركهم عوامل عدة، من دينية ورومانسية وعائلية (ملوكية) وتجارية. ثم يقول بوضوح: إنّ غرض الصليبيين «كان زرع إقطاعية غربية في أرض شرقية»

ولقد نجحوا في تأسيس ممالك لهم في قلب العالم الإسلامي ، بعد حروب دامت ما تقرب من مائتي عام. وقد تجاوزت حدود هذه الممالك مدينة القدس والأراضي المقدسة ، مما يكشف القناع عن دوافعهم وأكاذيبهم التي نشروها وشحنوا بها الغوغاء من شعوبهم.

ويقول كيرك (Kirk, 1969) :

«وفي أوروبا كانت القوانين الاقطاعية للوراثة قد خلفت طبقةً كثيرة العددِ من أبناءٍ وشبانٍ لا يملكون الأرض ، وكانوا –مع مغامرين آخرين– تواقين إلى إنشاء اقطاعياتٍ لهم في بلاد جديدة ؛ وكانت المدن الايطالية وغيرها من المدن التجارية الناشئة على البحر الأبيض مشتاقة إلى تطوير تجارةٍ كبيرةٍ للمنتجات الكمالية في الشرق الأدنى وآسيا الصغرى.

وكل هذه العوامل العسكرية والمادية قد وجهها النفوذ القوي للكنيسة وأجراها وركزها على ما أصبح يعرف بالحملة الصليبية الأولى والتي غزت الشرق سنة 1099م"

وينتقد كوربشلي (Corbishly, 119) الملك ريتشارد لذهابه بعيدا خارج حدود بلاده فيقول:

إنّ الملك ريتشارد كان يُحضِّرُ لحملةٍ صليبيةٍ ضد المسلمين. لكن لماذا سيذهب بعيداً إلى الأراضي المقدسة ما دام يقتل غير النصارى في انجلترا؟»

يشكك هذا الكاتب في المهمة التي سيقوم بها الملك ريتشارد ، فهو من وجهة نظره قاتل لشريحة من أبناء وطنه ، والأجدر به أن يصلح حاله في الداخل قبل الذهاب إلى خارج بلده.

ويقول لا مونتيه (La Monte, 1990) :

«والأمر الذي لا يمكن إنكاره أن التبشير للحملة الصليبية الأولى خاصة ، قد اعتمد على بُغض المسيحية الغربية للإسلام ، فضلاً عن دوافع أخرى ، منها أن الحملة الصليبية الأولى اشتملت على نورمانديين وجنويين تواقين لامتلاك أراضي الشرق ، واستثمار الفرص التجارية التي سَتُسنَحُ لهم تبعاً لذلك». على الرغم من أنّ نفراً قليلاً من المؤرخين الغربيين أشار إلى الأسباب

المادّيّة والاقتصادية للحروب للحروب الصليبية ، إلا أنّ فريقا منهم توحي كتاباتهم للمتلقي بأن هذه الحروب جميعاً ما هي إلا حملات دينية هدفها تخليص مدينة القدس وفك أسرها من أيدي المسلمين الذين يذيقون الحجاج المسيحيين العذاب والمرارة. وهناك فريق آخر من المؤرخين آثر ألاّ يذكر الأهداف الحقيقية التي تقف وراء هذه الحملات.

يرى روبرت جوين ونورتون (Robert Cowinn & Notn, 1992) أن السبب المباشر هو:

"بزوغ قوة السلاجقة الأتراك في الشرق الأوسط في القرن الحادي عشر"

ويتابعان القول بأن: "الرعب قد أصاب الإمبراطورية البيزنطية من قبل السلاجقة ، لذلك استغاث الإمبراطور بالمسيحيين الغربيين ، طالباً المساعدة ضد الكفار الأتراك والمسلمين".

لقد أصيب الغرب بالهلعْ نتيجة تنامي قوة المسلمين وظهور قوة رادعة قادرة على تحطيم طموحاتهم. علاوة على قدرتها على غزوهم في عقر دارهم.

يقول اندرسون جيمس وكرس بروك (Anderson, J & Brook, 1995) :

"إنّ الرعب الذي أصاب الممالك المسيحية الأوروبية ، بدأ بالصراع التاريخي مع المسلمين العرب والأتراك العثمانيين ، حيث كان ترويعهم لأوروبا حضارياً وأيدلوجياً".

إنّ لهذا الخوف ما يبرّره ، فقد كان الفتح العربي للأندلس والوصول إلى حدود بلاد الغال (فرنسا حالياً) ، حيث توقفت جيوش المسلمين بعد اجتيازها جبال البرانس عند بواتييه هو الاحتكاك الأول ، والحروب الصليبية هي الاحتكاك الثاني.

ويرى أحد كتابهم بأن خوف الأوروبيين من المسلمين يعود "إلى ما قبل الحروب الصليبية ، حيث كان شعور الأوروبيين أنَّ الإسلام منافس للمسيحية". بيتر كرسب (Peter Chrisp، 1992)

وهذا ما أكده البابا أوربان الثاني حينما أحس بالخوف من ظهور القوة المسلمة الضاربة ، وخاطب الملأ مشجعاً إياهم على الاستعداد وإيقاف هذا الشعب عند حده وتأديبه في عقر داره حيث قال عندما استغاث طالباً الدعم والمساعدة من الإمبراطورية البيزنطية:

«إن الإمبراطورية الرومانية هوجمت من الجهة الشرقية من قبل شعب مسلم شرس ، وهم السلاجقة الأتراك».

ويقول مايلز (Miles, 1995) :

«فلسطين أو الأراضي المقدسة كانت تحكم من قبل المسلمين منذ القرن السابع. وكان

المسيحيون قادرين على الذهاب إلى الحج لزيارة تلك المنطقة حيث ولد السيد المسيح ، ولكن في القرن الحادي عشر سيطر السلاجقة الأتراك على الأراضي المقدسة وأصبح الأمر صعباً وخطيراً بالنسبة لدخول المسيحيين.

ويقول كوربشلي (Corbishly) :

«كان العرب المسلمون يسمحون للحجاج المسيحيين بزيارة القدس. ولكن عندما سقطت القدس عام 1076م بيد السلاجقة الأتراك عقَّدُوا الأمور وجعلوا الحج أكثر صعوبةً ومشقةً.

يرى الباحث أنّ هناك عدة عوامل وقفت خلف هذه الحروب ، ومنها العامل الاقتصادي الذي كان له دور هامٌّ في إشعال هذه الحروب وتتابع إرسال الحملات ، أملاً في تحقيق ما يصبون إليه.

الحملة الصليبية الأولى:

في عام 1095 ألقى البابا أوربان الثاني موعظته في كليرمونت بفرنسا ، وحث النّاس على المشاركة بالحملة الصليبية أو الحرب المقدسة ، لتخليص الأراضي المقدسة من يد الأتراك. قال البابا أوربان: «أي فرد يموت على الطريق ، فإن جميع خطاياه ستمسح ويذهب الى السماء». وقد شارك في هذه الحملة عوام النّاس من جميع أوروبا . وكانت نتيجة هذه الحملة أنّهم وقعوا بين قتيلٍ أو مريضٍ أو جائعٍ، ولم يصلوا إلى بغيتهم. ليسا مايلز (Lisa Miles، p.34)

وتقول شوتر وريس (Shuter and Rees, 1998) :

« أما في أول حملةٍ صليبيةٍ من النبلاء والجنود فقد أُعدِّت العدة لها في عام 1095، ليصلوا إلى القدس، أخذت منهم ثلاث سنوات ، واستطاعوا احتلال بعض الحاميات خارجها، إلا أن الكثيرين منهم عادوا إلى أوروبا بعد أن تركوا عدداً قليلاً من الجنود لحمايتها. وكان المسيحيون قد تفرقوا؛ في حين توحّد المسلمون لطردهم منها.

وفي عام 1095م احتل الصليبيون القدس وقتلوا عدداً هائلا من سكانها ، وأصبحت فلسطين واحدةً من الممالك المسيحية الخمس بمنطقة شرق المتوسط. بروك وآخرون (Brook and Others ، 1995)

الحملة الصليبية الثانية :

هذه الحملة كانت ما بين عامي (1147 – 1149)، وقد فشلت هذه الحملة الصليبية الثانية، وأصبح المسلمون أقوى تحت قيادة قائدٍ قوي يدعى صلاح الدين الذي استردّ القدس في معركة حطّين ودحر الصليبيين. ليسا مايلز (Miles، p.33) وبلغ من حدة التعصب والحماس الديني لدى الغرب، أن أثاروا مشاعر الأطفال وعبؤوها بالحقد والثأر لدماء المسيحيين التي تراق

وكرامتهم التي تهان من قبل المسلمين في الأراضي المقدسة. وكان من نتيجة ذلك أن تأسس جيشُ من الشباب والفتيات المتحمسين. وانتقد أحد المؤرخين المعاصرين هذه الحملة وانتقد صليبية الأطفال وشدة تعصبهم فقال:

"وكان من أكبر المآسي أن جهّز المهووسون الدينيون جيشاً من الشبان والفتيات، بلغ عدده خمسون ألفاً لمحاربة المسلمين ، فقد اعتقدوا أنّ هؤلاء الأبرياء سينجحون حيث أخفق آباؤهم. وقد غرق معظمهم في البحر الأبيض وقليل منهم وصلوا إلى فلسطين، والقليل تمكن من العودة إلى بلاده". (Hyamson ، p. 31)

وتعتبر هذه الحملة هي الحملة الصليبية الرابعة في ترتيب الحملات الصليبية. وقام على دفعها نحو الأراضي المقدسة المهووسون الدينيون ، والذين كانت أطماعهم المادية الدنيوية تفوق أطماعهم الدينية الأخروية.

ويشير كل من روزماري ريس وشوتر (Rose Mary Rees & Shuter, 1998) إلى هذه الحملة بقولهما:

إن النصارى في جميع أوروبا أصبحوا مرعوبين من ضياع مدينة القدس ، حتى قيل إن البابا أوربان الثالث مات حزناً عندما سمع بالأخبار. كما أنّ البابا الجديد جريجوري: اعترف بتلك المأساة ودعا لإعادة ترتيب صفوفهم وأن يبدؤوا بتنظيم حملة جديدة. استجاب ثلاثة من الحكام الأوروبيين لدعوة البابا: "فريدريك بربروسا امبراطور ألمانيا، وريتشارد الأول ملك انجلترا الملقب بقلب الأسد وفيليب أغسطس ملك فرنسا". وباءت الحملة بالفشل، إلا أنّ المحاولات لم تتوقّف.

لقد "حارب الصليبيون المسيحيون حرباً مقدسة ضد المسلمين، وذلك للسيطرة على مدينة القدس المقدسة. وذهاب الأطفال الصليبيين إلى القدس كان حادثاً من أكثر الحوادث غير العادية في ذلك الوقت".

وفي سياق هذا التناول يعمد المؤلفون إلى إقناع المتلقي بأن هذه الحرب نابعة من دوافع دينية بحتة ، خالصة لوجه الله، وجعلهم ينحازون إلى الطابع الديني لهذه الحملات دون الإشارة إلى أنها حملات عسكرية تخفي وراءها أهدافاً بعيدة كل البعد عن الدين. ولإضفاء الصبغة الدينية على هذه الحملات ، شارك فيها حتى الأطفال والشباب من الذكور والإناث الذين أثارتهم دعوات المتعصبين والمهووسين. وعلى ذكر الأطفال واندفاعهم لمحاربة المسلمين بتحريض من تجار مرسيلية ، تقول ليسا مايلز (Lisa Miles، 1998) :

"وفي عام 1212م آلاف من الأطفال الأوروبيين تبعوا ولداً يعمل راعياً في حملة عرفت باسم حملة "الأطفال الصليبيون" ، وكانوا يعتقدون بأن الله سيعمل المعجزات حتى يستعيدوا القدس. ولكن تجار مرسيليا بدلا من أن يقدموا مراكبهم لنقل الأطفال إلى الأراضي المقدسة ، أُخِذُوهم إلى الإسكندرية بمصرَ وباعوهم كعبيد».

وفي كتاب بعنوان الأطفال الضّائعون «The Lost Children» لمؤلفته ريس (Ress, 1998):

"ورد على لسان أحدهم مدعياً أنه رأى المسيح في المنام وخاطبه قائلاً: يا ستيفن يجب أن تجمع الأطفال وتخلص مدينة القدس ، تعال معي ، تعال الآن! الله يريد منا أن نذهب!"

وتستمرُّ أحداث القصة؛ حتى وصلوا وكانوا مُنهّكِين وفشلت حملتهم ، فمن ألقي القبض عليه بيع كعبد. ومن حسن حظ ستيفن أنه أصبح عبداً لشخص مغربي من المسلمين ، أحد الكفار الذي دعانا لمحاربتهم ، ولكنه ليس شيطاناً وليس سيئاً ، إنه طبيبٌ وكان لطيفاً معي.(Rees، p. 30 –31) ويتعمّد كثير من الكتاب عدم ذكر الأسباب الحقيقية للحملات الصليبية فيدَّعون أن الدافع المباشر لها هو : "اعتداءات المسلمين المتكررة على الحجاج المسيحيين في الأراضي المقدسة" .

فهم يوحون للمتلقّي بأن الاعتداءات كانت تقع من جانب المسلمين. ولتأمين المشاركة الشعبية وإثارة حماس الرأي العام وتأمين المتطوعين اللازمين للحرب ، كانوا يحاولون إقناع شعوبهم بأن هذه الحرب مقدسة وستعود عليهم بخير كثير مثل "غفران الخطايا وإعلاء كلمة الرّب" .

إنّ محور آراء الكتاب تصَبُّ على أن أسباب هذه الحروب ودوافعها دينية ، ولكن الحقيقة أن العداوة هي دنيوية سياسية لا صلة لها بالدين.

والدليل على ذلك كثرة التناقضات بين المؤرخين في موضوع الأسباب التي تقف وراء الحروب الصليبية والتي توزعت ما بين أسباب دينية وسياسية واقتصادية.

ويمكننا القول إنّ خطبة البابا أوربان الثاني شكّلت أول تعبئة معنوية وإعداد نفسي للحروب الصليبية ، وحتى يثير المشاعر لدى الناس ليهبوا هبة رجل واحد لمحاربة المسلمين ، عقد البابا أوربان اجتماعاً خارج مدينة كليرمونت بفرنسا ، وخطب بالمجتمعين هناك ، فقد نصح المحاربين الصليبيين بأن "يتوقفوا عن قتال بعضهم بعضاً ، حيث إنّ قتل المسيحي يعتبر خطيئة. ويعتقد بأن الله سيكون مسروراً لو قُتِل الكفار أو غير المؤمنين. وأن المحاربين الفرسان سَيُحفظُون من نار جهنم عندما يبذلون قصارى جهدهم في القتال" .(Chrisp، 1992) .

وتابع خطابه للملأ مركزاً على أهمية القدس وضرورة تخليصها بقوله: "إنّ القدس هي مركز

العالم ، وعلاوة على ذلك فهي أرض خصيبة ، إنّها جنّةٌ للسعداء. يا مخّلصنا مجِّد هذه الأرض بقبرك وبمجيئك. إن هذه المدينة الملكية تقع في مركز العالم ، وإنّها الآن أسيرة بيد الأعداء ، مستعبدةً من قبل هؤلاء الذين لا يعرفون الله".

ويتابع (أوربان) الثاني القول:

"يجب أن تجروا بأقصى سرعة ممكنة لتساعدوا إخوانكم الذين يعيشون على تلك الشواطيء. لقد غلبهم الأتراك ، يذبحونهم ويلقون القبض عليهم ويدمرون الكنائس ، يبقرون بطونهم ويمزقون أعضاءهم بالخشب ويسحلونهم ويجلدونهم بالسياط". (Corbishly، 1995)

ثمّ يتابع يقول:

"القدس مركز العالم ، أرض خصبة أكثر من أي أرض. تشبه جنة ثانية من السعادة ، إن منقذ الجنس البشري جعلها مشهورة بميلاده ، أسسها بحياته وطهرها بآلامه ، وأنقذها بموته ، وترك بصماته عليها بدفنه فيها". (Chrisp، 89)

ويقول كريستوفر كبلن ولنسل (Christopher Cuplin & Linsell, 1990):

"لقد جاءنا تقريرأنّ الأتراك وهم جنس غريب كل الغرابة عن الله ، قد غزا الأراضي المسيحية ، يذبحون فريقاً ويأسرون فريقا ، ويدمرون الكنائس ، ويسوّونها مع الأرض.. إنني أنا البابا أحذركم ، بأن نهاية العالم قد قربت ، وأن الأمور بيد الشيطان".

وبهذه العبارات التي تثير المشاعر وتلهب الحماس انطلقت أبواق المهووسين تنشر الدعاية في كل مكان حاملين معهم أسلحتهم وكل ما يقدرون على حمله من أسباب القتال ، ملبين دعوة البابا، وتحركت الجيوش بعد أن أكملت استعدادها متجهة نحو الشرق.

إنّ البابا نفسه ينظر إلى الحملات الصليبية على أنها حملات دينية ، ولا يتساءل عن الأسباب العميقة للحروب الصليبية! وما زالت هذه النظرة للحروب الصليبية كما هي ولم تتغيّر ، إما عن قصد أو غير قصد ، حتى في المراجع المعتمدة والمنتشرة في الجامعات والمعاهد العلمية والمؤسسات والمدارس. والأمر اللافت للنظر أن الشخصية الإسلامية عامة ، والعربية خاصة كما جاءت في الخطب التي صاغها المؤرخون الأوروبيون على لسان البابا أوربان الثاني في كليرمونت سنة 1095م، شخصية مثقلة بكل الشرور والخطايا والآثام التي يمكن أن يحملها البشر. هذا التصوير أو التصور العدائي للشخصية العربية والإسلامية ، صاغه رجال الكنيسة الذين كتبوا هذه الخطبة على لسان البابا دون أن يرى أحدهم عربياً واحداً أو مسلماً على الطبيعة ؛ ولذا فإنهم

استخدموا كل براعتهم في هذه الصياغة الكريهة. (Gasem ، 1987).

وأورد وليام هالسي وجونستون (William Halsey & Johnstoy, 1990) :

"إن محاولة تخليص الأراضي المقدسة من الكفار ، كان واحداً من أعظم الأسباب المنسيّة في التاريخ".

إن إطلاق كلمة كفار على المسلمين أمر شائع في كتابات العصور الوسطى. وورد في خطبة البابا أوربان الثاني الكثير من مفردات السباب والشتم والاتهامات للمسلمين. وكان وراء هذه الاتهامات الباطلة الصورة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين والتي انتشرت في أوروبا على نطاق واسع في القرن الحادي عشر عشية قيام الحملة الصليبية الأولى من خلال تشانسون دي جيسته (Chanson de Gestey). وأشهر هذه الملاحم هي ملحمة رولاند. وهي أشهر وأقدم المصادر التي ساهمت في نشر صورة الإسلام في الغرب حيث صور مؤلف الملحمة المسلمين كوثنيين يعبدون آلهة متعددة من بينهم ، محمد وأبولو Apolo (Tervagan, 1997, p.252)

ويرى شو (Show, 1973) :

إن إطلاق النعوت أو التكفير أمر مجانب للحقيقة والموضوعية ، وعلى العكس من ذلك فقد تحدثت المصادر العربية عن شجاعة المقاتل الصليبي ولكنها مقرونة "بصفتين متناقضتين : الحذر الشديد والغدر".

وأورد أندرسون (Anderson, 1995) :

"إن القدس تعتبر مقدسة لكل جانب وكذلك الصراع مقدس. فالصليبيون دافعوا عن الصليب والمسلمون أعلنوا الجهاد" أي الحرب المقدسة. والحروب كانت حول السيطرة على الأماكن والمساحات المقدسة في فلسطين من قبل كل جانب".

"فالمسيحيون يعتبرون أنفسهم مدافعين وليس "قصابين"... والقدس هي الغنيمة التي يدعيها كل طرف.

لم يفرق أندرسون بين المُعتَدِي والمُعتدَى عليه ، فهو يضع الفريقين بمستوىً واحدٍ من حيث المطامع ، لا بلْ يميل إلى تزييف الحقيقة. فالمسلمون من حقهم إعلان الجهاد وهو فرض على كل مسلم مُعتَدَى على وطنه. أما دعوى الدفاع عن الصليب فهي دعوى باطلة ، نظراً لانحياز الكاتب إلى الطابع الديني متجاهلاً العوامل الحقيقية الأخرى لهذه الحملات، ومتناسياً التسامح الإسلامي مع الحجاج الوافدين إلى الأراضي المقدسة ، والمسيحيين المقيمين».

أما الكنيسة فقد تبنت الحروب الصليبية وأثارتها بدعوى الدفاع عن العقيدة المسيحية

ونشرها واستعادة الإشراف على الأماكن المقدسة من المسلمين، وفي هذه الحرب المقدسة ، كانت إسبانيا أول الممالك المسيحية التي تزعمت الصراع ضد العرب المسلمين خلال ثمانية قرون إلى أن حصلت على النصر النهائي الحاسم بعد احتلال غرناطة عام 1492». (Ahmed، 1984)

ويكرر اندرسون القول:

"إنّ الحرب المقدسة تتطلب التزام الشعب قلباً وقالباً وموافقته المطلقة وقناعته العميقة بأن هذه الحرب ستعود عليه بمكافأة عظيمة ، ألا وهي :

"غفران الخطايا وإعلاء كلمة الرب".

وهذا رئيس الرهبان يشجع الجنود على القتال :

"أيها الفرسان تقدموا إلى الأمام. بأرواح باسلة ، اطردوا أعداء صليب المسيح..

كم هو فخر أن تعودوا من القتال منتصرين !

كتبت هذه الكلمات القوية في عام 1135م من قبل رئيس الرهبان بيرنالا كليرفوس. وكان يتكلم إلى فرسان فرنسا، يشجعهم إلى الإنطلاق مع الحملات الصليبية. وأورد بيتر كرسب (Chrisp، 1992) في كتابه بعنوان: "الصليبيون"

"بين عام 1095م وعام 1300م ، كانت هناك سبع حملات رئيسية إلى الشرق الأوسط ، بالإضافة إلى عدة حملات أخرى. كان هدف هذه الحملات بالنسبة للمسيحيين هو إعادة السيطرة على فلسطين أو الأراضي المقدسة كما يسميها المسيحيون لأنهم يعتقدون أن سبب قداسة أرض فلسطين ، لأن المسيح كان قد مشى على أرضها. القدس هي المدينة التي صلب فيها المسيح ، لها قداسة خاصة (Chrisp، p 4)

ويجب أن نشير إلى أنّ الأقوال أو الأفعال الصادرة عن الكتاب أو المؤرخين كما وردت في كتب التاريخ التي يدرسها منتسبو المدارس الخاصة الغربية منها على وجه الخصوص لا تمثل الدين المسيحي أو تعاليمه ، بل هي آراء أو أقوال صادرة عن أناس حاقدين يحملون أفكاراً متطرفة ، لا تتناسب مع عقيدتهم.

تحليل النتائج ومناقشتها والتوصيات

تعتمد مناقشة النتائج على المعلومات التي حصل عليها الباحث ، وذلك كما وردت في كتب التاريخ المقررة في المرحلتين الإعدادية والثانوية بالمدارس الخاصة الأجنبية. حيث أسفرت هذه الدراسة عن التعرّف على مدى التشويه المتعمد والمغالطات التاريخية التي تتعلق بالمسلمين عامة وسكان القدس وما

حولها خاصة. وكذلك طال التشويه أسباب هذه الحروب وما يقف وراءها ومجرياتها.

وقد تبيّن من خلال تحليل الجمل الواردة في النصوص، أو من خلال تحليل المفردات كما وردت في الكتب المقررة، عدم نزاهة معظم هؤلاء المؤرخين أو الكتاب، حيث إنهم لم يلتزموا الحيادية في كتاباتهم، ومن هنا خلا محتوى هذه الكتب من الصدق في كثيرٍ من الأحيان، خاصة فيما يتعلق بهذه الحروب وأسبابها، وكذلك سكان الأراضي المقدسة ومعاملتهم للحجاج وأخلاقهم كما يظهر من الجدول التالي.

جدول (1)

الأفعال المتبادلة بين المسلمين والصليبيين

من وجهة نظر المؤرخين الغربيين

من عام 1096 - 1300

الجانب الإسلامي والعربي	الجانب المسيحي
أ - التعصّب الديني أعلن: أعلن المسلمون الجهاد في الحرب المقدسة أمر: «إنّ الأمور بيد الشيطان»(المسلمون) «بقر» «يبقرون بطونهم ، ويمزّقون أعضاءهم» «جعل»: «جعلوا الحجّ أكثر صعوبة ومشقّة» دمّر: « يدمرون الكنائس ويسوونها بالأرض» ذاق: « يذيقون الحجاج المسيحيين المرارة » «سحل»: «يسحلونهم ، ثم يجلدونهم بالسياط» غرب: «الأتراك جنس غريب عن الله» «قذف»: «يقذفون الأعداء بالرماح والسهام» «مسح»: « يمسحون مملكة الله » منع: «يمنعون الحجاج المسيحيين من زيارة الأماكن المقدسة»	**ب- التعصب الديني** «أتى»: «أتو إلى الشرق لتحرير مسيحييها من الظلم الإسلامي». «حارب»: «حارب الصليبيون حرباً مقدسةً ضدّ المسلمين» حذّر : « إنني أنا البابا احذركم بأن نهاية العالم قد اقتربت » «اجتمع»: « اجتمعت جميع الدول للتعاون من أجل استعادة الأراضي «استغاث»: « استغاث الإمبراطور بالمسيحيين الغربيين » «ألقى»: « ألقى البابا أوربان الثاني خطبته في كليرمونت بفرنسا «دعى»: «دعت الكنيسة أتباعها من كل الطبقات» «شجّع»: « شجّع رئيس الرهبان كليرفوس الجنود على القتال» «طرد»: «اطردوا أعداء المسيح»

الغزو العسكري	الغزو العسكري
برز: «برزت مجموعة من القادة المسلمين الأقوياء» حكم: «أحكموا قبضتهم على كلّ آسيا الصغرى» دحر: «دُحرَ الصليبيون في معركة حطّين» دفعَ: «دافعوا عنها دفاع الأبطال» دمّر: «دمّر السلاجقة الأتراك العثمانيين» ذبح: «يذبحون فريقاً ويأسرون فريقاً آخر» رجل: «ترجّل الأتراك عن خيولهم» سُرَّ: «سر البابا لقتل الكفار» صاب: «أصابهم الحزن العميق» ظهر: «ظهور قوة رادعة قادرة على تحطيم طموحاتهم» قدم: «تقدّم جيش الأتراك القوي» «تقدّموا نحو الصليبيين» قاد: «قاد صلاح الدين جيشه نحو مدينة طبريا المسيحية» هجم: «هاجموا الإمبراطورية من الجهة الشرقية وسع: «يوسّعون حدودهم»	باع: «بيع معظم الأسرى كالعبيد أو ضربوا حتى الموت» بوأ: «باءت الحملة بالفشل» تبع: «تتابعت الحملات الصليبية» جهز: «جهّزوا جيشاً من الشباب والفتيات» حاط: «أحيطَ بهم وقتلوا أعداداً كبيرة» حرب: «حارب فيها النبلاء والجنود» حلّ: «احتلّوا بعض الحاميات» دعم: «وجد البابا دعماً ومساعدةً من البيزنطيين» زرع: «زرعوا بعض الإقطاعيات الغربية في الشرق» شرك: «شارك فيها النبلاء والجنود» طرد: «طُردَ المسلمون أينما وجدوا» عودَ: «عاد بعضهم إلى بلاده» غاص: «كان الرجال يغوصون بالدماء حتى ركبهم» قتل: «قتلوا سكان القدس». «قتلوا سبعين ألفاً من سكانها» لحق: «تتبع فرساننا آثارهم ولحقوا بهم» هاج: «اندفع رجالنا هائجين نحو الخطّ الأمامي»

خلاصة هذه المقارنة أن هناك كثيراً من المفردات ذات الاتجاه السلبي فيما يخص المسلمين، وتكاد تكون جميعها ذات مضمون سلبي متعمد ، مما يجعل هؤلاء الكتاب بعيدين عن الواقع بالنسبة للجانب العربي المسلم. وأنهم متحاملون في كل ما يخص العرب المسلمين والحروب التي خاضوها.

دخول الصليبين القدس:

لقد طرح الصليبيون أسباباً وذرائع كثيرة من أجل احتلال الأراضي المقدسة ، فهم يَدَّعُون

أنهم يريدون حماية هذه الأماكن ، وحماية طريق الحج . ونجحت محاولاتهم في النهاية ، وشجعهم على ذلك تفرق كلمة المسلمين وكثرة خلافاتهم.

يقول وليام برايان (Brian, 1993) :

وعندما وصلت طلائع الجيوش الصليبية إلى القدس ، كانت القدس تحت حكم "افتخار الدولة" الفاطمي. وقد دافع عنها دفاع الأبطال إلا أن كثرة عدد المهاجمين وإصرارهم ، أدى إلى انهيار خط الدفاع عن المدينة واستسلمت حاميتها ولجأ الناس إلى المسجد الأقصى حيث رفعوا راية الصليب وطلبوا الأمان مقابل فدية ، إلا أن تانكرد انقض عليهم وعاث فساداً ودمر ونهب وقتل الناس بدمٍ باردٍ حتى بلغت الدماء إلى الركب. ورحل افتخار الدولة بمن معه إلى الحامية الإسلامية بعسقلان. (Williams Brian 1993)

ويرى كرسب (Chrisp, p. 17) :

إن الفظائع التي ارتكبها الصليبيون ، يعجز اللسان في التعبير عنها لبشاعتها وفظاعتها. وبشهادة المؤرخين الغربيين أنفسهم، يقول ريموند ألأجويلري معبراً عن سعادته:(Al Aguilers، 1992)

"إنّه منظر رائع تشاهده في معبد سليمان ، كان الرجال يغوصون إلى ركبهم في الدماء وحتى حلق أذان العروس. حقاً إنّه قضاء عظيم من الله أن يمتليء هذا المكان بدماء غير المؤمنين ، حيث عانت هذه المدينة طويلاً من قبل هؤلاء الملحدين. لقد امتلأت المدينة بالدماء والجثث".

إن الفظائع البربرية والهجوم الوحشي على الأبرياء من شيوخ وأطفال ونساء ، يعد من أكبر الخطايا والآثام بحق الإنسانية. وهذا ما يدل على عدم صدق ادعائهم بأنهم حماة للأراضي المقدسة بل غزاة بربريون ومتوحشون ، بعيدون كل البعد عن الدين والأخلاق الإنسانية. فالبابا نفسه يبرر القتل والفتك بدماء الأبرياء حين طلب من الكنيسة أن تصدر صكاً بغفران الخطايا للمقاتلين وأنهم سيذهبون إلى الجنّة مباشرة بعد قتلهم في المعارك.

ويعلق فوشيه دي شارتر بسخرية عندما سبيت بعض النسوة المسلمات أثناء وجود الصّليبيين في انطاكية ، عام 1098،" لم يفعلوا بهنّ شراً ، وإنما بقروا بطونهنّ بالرّماح والحراب.."

ويؤكد هذه الفظائع كاتب آخر ، فيقول على لسان شاهد عيان:

"دخل رجالنا المدينة ، وطاردوا المسلمين ، يقتلونهم أينما وجدوا ، حتى في داخل هيكل سليمان. وهناك قاتل الأعداء قتالاً شرساً ، حتى تدفقت دماؤهم وغطت جميع أرض الهيكل. ألقى رجالنا القبض على كثير من الرجال والنساء وقتلوا كل من يريدون قتله. وحالاً أحكم رجالنا

السيطرة على المدينة ، باحثين عن الذهب والفضة ، وعن الخيول والبغال ، والبيوت الملأى بالثروات من كل نوع" (Corbishley، 197)

إنّ ما ورد على لسان شاهد عيان يثبت أنّ الصليبيين كانوا يفكرون أول ما يفكرون في المكاسب المادية ، فهم ينهبون ويسلبون كل ما وقع تحت أيديهم. حيث إنهم تدافعوا نحو المدينة من أجل بعض المكاسب الدنيوية .

ويؤكد الفظائع المتوحشة التي ارتكبها الصليبيون ما يرويه اندرسون (Anderson, 1995):

"في عام 1099 أحاط الصليبيون القادمون من أوروبا بالقدس ، فقتلوا أعداداً كبيرة من سكانها ، وأصبحت فلسطين إحدى الممالك الصليبية الخمس في شرق المتوسط. وفي عام 1187 أعاد المدينة المقدسة قائد مسلم بارز، بدون وحشية كالتي ارتكبتها الجيوش الغربية قبل قرن سابق.. وبالنسبة لكلا الجانبين كان الصراع مقدساً ، فالصليبيون كانوا يتنادو بالصليب ، والمسلمون تنادوا إلى الجهاد (الحرب المقدسة).. فالفرسان الأوروبيون يحاربون باسم الصليب المسيحي ، ولم يروا أنفسهم كالقصابين بل كمدافعين عن المسيحية. هل كان الصراع في الحقيقة صراعاً دينياً أو شعاراً مقدساً يختفي تحته صراع أوسع للبحث عن الثروة واحتلال أراضي تقف حداً فاصلاً بين الممالك المسيحية والإسلامية.؟.

ومهما تكن الدوافع التي قيلت من قبل الصليبيين، فالنهاية أنّهم احتلوا أماكن وأراضي، وكانت الجائزة الرئيسية "القدس" ، والتي يدّعي كل طرف ملكيتها – "القدس لنا" - .

ولم يتوقف مسلسل الجرائم البشعة التي ارتكبها الصليبيون بحق المسلمين الأبرياء ، فقد كتب كوربشلي (Corbishley، p. 203)

"...وتقدم ريتشارد وجيشه إلى أواسط السهول وأحضر معه ثلاثة آلاف أسير مسلم مقيدين بالسلاسل. وهجموا عليهم هجمة رجل واحد. وذبحوهم بكل برود مستعملين سيوفهم ورماحهم" . ويتابع كوربشلي فيقول :

«وهناك أسباب عديدة وراء ذبحهم، وأحد الأسباب أنهم قُتِلُوا انتقاماً للمسيحيين الذين قتلوا من قبل المسلمين. والثاني أنّ ريتشارد كان قد قرر أن يتقدم إلى عسقلان لكي لايبقى خلفه عدداً كبيراً من جنود الأعداء».

ويبرر الكاتب أفظع ما مر بذاكرة النوع البشري من الجرائم الوحشية ، حيث أهلكوا الحرث والنسل متناسياً الأمان الذي أعطاه لهم عند تسليمهم سلاحهم.

وأورد كاتب السيرة الذاتية للملك ريتشارد الأول:

«بأن الملك ريتشارد كان تواقاً لتحطيم الأتراك المسلمين ، وكان لديه 2700 أسير تركي أخرجهم من المدينة لقتلهم ، فانقضّ عليهم أتباعه مُنَفِّذين أمره ، شاكرين العناية الربانية التي منحتهم الفرصة للثأر للمسيحيين الذين ألقي القبض عليهم وقتلوا بالمدي والسهام». (Chrisp، p.32)

إنّ كتاب التاريخ لا ينكرون الجرائم البشعة التي ارتكبت على يد قادتهم أو بأمر منهم ، على أيّة حالٍ يبقى الأمر سيّان. وهذا الموقف يذكرنا بالقائد صلاح الدين الأيوبي وسعة صدره وسماحته وعفوه ، حيث عامل أعداءه وأسراه معاملة حسنه ، تدل على جلال العقيدة الإسلامية ومدى تأثيرها على معتنقيها.

وانتقد بيتر كرسب همجية ريتشارد بقوله :

« إن الملك الإنكليزي ريتشارد أخلف بوعده للأسرى المسلمين ، حيث تسلّم المدينة المحصّنة مقابل سلامة أرواحهم . لقد هجم ريتشارد وجيشه عليهم هجمة رجلٍ واحد ، يذبحونهم بدم باردٍ. وفي الصباح التالي أراد المسلمون أن يروا من سقط ، فوجدوا أصدقاءهم قد استشهدوا وملقيين مكانهم . فأصابهم الحزن العميق ، ومنذ ذلك الوقت يرفضون تسليم أعداءهم أيّ سجين».

ويشير الكاتبان آليت وكفن أودونيل (Aylett & Kevin O'Donnell, 2000) إلى قسوة ريتشارد قلب الأسد بالقول :

«إنّ قسوة ريتشارد قلب الأسد لا تحتاج إلى كلام ، وعلى أية حال عندما احتل مدينة صور ، قتل آلاف المسلمين كانوا أسرى لديه ، وذلك لأنه كان خائفاً أن يلتحقوا بجيش صلاح الدين ويحاربوا ضده. وللأسف ، فإن هذه الأفعال الوحشية ، قادت إلى فقدان الثقة على مدى قرون بين المسيحيين والمسلمين».

ونقل كوربشلي عن ابن الأثير في كتابه الموسوعي خبر هذه المذبحة فيقول:

«وبعد أن انتزع الصليبيون بيت المقدس من يد افتخار الدولة ، «قتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد. فأوردوا كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا ... فلشدة ما أصابهم أفطروا ، فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني إلى حلوان ، (بسبيل تحقيق نوع من الوفاق بين خلافة بغداد ، وخلافة القاهرة ضد العدو المشترك) ، فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني على ما نذكره ، فعادوا من غير بلوغ أرب ،

ولا قضاء حاجة ، واختلف السلاطين ، فتمكن الفرنج من البلاد". (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ / جـ8 / 189).

وكتب تم وود (Wood,1995) بعنوان تحرير القدس :

«إنّ مدينة القدس المقدسة وقعت في أيدي المسيحيين مرة أخرى. فقط بعد مرور ثلاثة أعوام من لجوء أوربان الثاني إلى الجنود يدعوهم لتحرير مدينة القدس من المسلمين. أكمل الفرسان الفرنسيون جود فرى وبولدوين وجيشهما الصليبي الواجب. وتحررت القدس في 1099/6/15م ، ولكن بعد أن خاضوا عدة معارك. وقسمت فلسطين الآن إلى أربع ممالك مسيحية ، كل واحدة تحكم من قبل بارون».

إن الحروب والمجازر التي ارتكبها الصليبيون ، تركت أثرها المؤلم في الوجدان العربي والإسلامي ، حيث داهم الصليبيون العرب المسلمين في عقر دارهم ، وأصبحت الأرض مسرحاً لهذه الحروب وواجه العرب المسلمون هزيمة كبرى ولا غرابة في ذلك ، نظراً لتفرق كلمتهم وشعورهم بالخذلان.

وبما أنّ الحرب كرّ وفرّ ، فقد جمع العرب حشودهم على يد صلاح الدين الأيوبي وقبله ساهم المناضلان الزنكيان عماد الدين ونور الدين ، وذلك عن طريق حشد وجمع كلمة المسلمين. كتب الله النصر وأُعيدتِ القدس لأصحابها الشرعيين. ولكن دخولهم للقدس كان مختلفاً عن دخول الصليبيين ، فقد غلب التسامح والخلق الإسلامي على جيش صلاح الدين. حيث عومل الأسرى وأهل القدس معاملة استثنائية ، على الرغم من أن دماء السكان المسلمين في القدس لم تجف بعد. وهي ماثلة في ذاكرة من تبقى من المسلمين في كل الأرض العربية.

وشهد شاهد من أهله على عدم مقابلة وحشية الصليبيين بوحشية مماثلة، إذ يكتب بروك وجيمس أندرسون والن كوشرين (Brook & James Anderson and Cochrane, 1995) :

"وفي عام 1099م جاء الصليبيون من أوروبا واحتلوا القدس وقتلوا السكان ، وأصبحت فلسطين خامس دولة مسيحية في شرق المتوسط. وفي 1187م ، ظهر حاكم مسلم بارز اسمه صلاح الدين ، استعاد الأراضي المقدسة دون أن يمارس أعمالاً وحشية كالتي ارتكبتها من قبلُ الجيوش الغربية قبل قرن. وتعتبر القدس "مقدسة" لكل جانب وكذلك الصراع "مقدس". فالصليبيون دافعوا عن الصليب والمسلمون أعلنوا "الجهاد" أي "الحرب المقدسة". والحرب كانت حول السيطرة على الأماكن والمساحات التي تعتبر مقدسة في فلسطين من قبل كل جانب.

وقد كشف مؤرخو الحملة الصليبية الأولى ، ومنهم الفارس المجهول ، وفوشيه دي شارتر ، وجيوبرت النوجنتي ، وبلدريك الدوللي وريمون ألأجويلري ، وألبرت الأيكسي عن عدائهم للعرب المسلمين والأتراك دون موارية".

"بل إن بعضهم كان يبدي سروره في عبارات بليغة لما ارتكبه الصليبيون من أعمال وحشية ضد العرب في بلاد الشام ، ولم يخطر ببالهم قط أن يكون لهؤلاء العرب حق في بلادهم ؛ وإنّما كانوا يرون فيهم مجموعة من الوثنيين الذين يستحقون القتل. وأول ما يلفت النّظر للصورة التي رسمها أولئك المؤرخون للشخصية العربية الإسلاميّة عداؤهم الشّديد للمسلمين من جهةٍ ، وجهلهم بحقيقة الدين الإسلامي والثقافة العربية من جهةٍ ثانيةٍ. فهم يصمون المسلمين بالكفر والوثنية أحياناً وبالبربرية والشرّ أحياناً أخرى." (Gasem، p.17)

وتجدر الإشارة إلى أن جميع المجازر التي ارتكبت ليست في شيء من جوهر المسيحية ، إذا ما قارنا ذلك بتسامح المسلمين وحسن معاملتهم لغير المسلمين. وهناك من يزوِّر الحقائقَ ويعتبر تسامح المسلمين له أسبابه الدنيوية.

وروى آليت وكفن أودونيل (Aylett & Kevin O'Donnell, 2000) :

قصة البطريرك صفرونيوس مع الخليفة عمر بن الخطاب عند مجيئه إلى القدس لتسلم مفاتيحها وأشار بقوله :

«عندما سيطر المسلمون على الأماكن المقدسة ، كانت هذه الأماكن مفتوحة للمسلمين واليهود. ولكن شتان ما بين حالها عندما كانت بيد المسلمين وبين حالها بعد سيطرة أول حملة صليبية عليها عام 1099م. الصليبيون المتعصبون ذبحوا جميع المسلمين واليهود أينما وجدوا. وهذه المذبحة أرعبت العالم الإسلامي والكثير من المسيحيين في أوروبا أيضاً».

ويشيد كاتب آخر بسماحة المسلمين وخاصة القائد صلاح الدين الأيوبي وذلك بعد انتصاره في معركة حطين :

«... وحارب الفرسان بشجاعةٍ ، وكانت حالتهم ميؤوساً منها ، وجيش القدس قد تحطّم وكذلك الصليب أقدس أثرٍ باقٍ قد انتُزِعَ. وبعد ثلاثة أشهرٍ ، دخل القائد المسلم العظيم المدينة المقدّسة نفسها. وعلى أيةِ حالٍ لم يكن حالهم كحال الصّليبيين الذين استولوا على المدينة في عام 1095. إنّهم –أي المسلمين– لم يقتلوا فرداً واحداً من السكان.» (Peter،p.28)

هذه حقيقة واقعة لا مراء فيها ، فجيش قائده السلطان صلاح الدين الأيوبي القائد المؤمن ، لم يسجل عليه الأعداء أي موقف سلبي خاصة في حربه لاستعادة المدينة المقدسة ، حيث كانت المواجهة وجهاً لوجه. فالأفعال الصادرة عن كل فريق وثقها على حقيقتها نفر قليلٌ من المؤرخين.

ويُعَلِّق روجر بيكون (Roger Bacon، 1268) على الحروب الصليبية بقوله:

"إن الحرب غير فعّالةٍ ضدّ الكفار ، طالما أنّ الكنيسة هزمت في الحروب الصّليبية ، ولا الكفار تحوّلوا إلى نصارى، بل قتلوا وذهبوا إلى جهنّم. أولئك الذين بقوا على قيد الحياة مع أطفالهم بعد الحرب، هم الذين يشعرون بالمرارة أكثر وأكثر ضد العقيدة المسيحية بسبب هذا العنف. أضف إلى ذلك أن الإيمان لايدخل العالم بالسلاح بل بالموعظة الحسنة".

وكتب هامبرت الراهب الروماني (Humbert of Romans، 1247) تقريراً إلى البابا حول فتور حماس الصليبيين نحو الحروب الصليبية فقال:

"هناك البعض يقول: إن غير المسيحيين من يسفك الدماء بهذه الطريقة، وحتى أنّ الكفار الأشرار لم يفعلوا مثل ذلك ضدّ المسيح ، ويقولون ومع ذلك يجب على الواحد منّا أن لا يوفر السراسنز (المسلمون) بل يجب أن يحفظ الدم النّصراني، وهل من الحكمة أن نعرّض الكثير من رجالنا العظام للخطر؟

الآخرون يرون أنّها ليست رغبة الرب أن يتقدّم النصارى ضد السراسنز (المسلمون) كيف يسمح الرب لصلاح الدين أن ينتصر ويستردّ الأراضي مع نزف كثير من دماء المسيحيين. إنّ الامبراطور فريدريك هلك في ماءٍ ضحلٍ ، والملك لويس وقع أسيراً في مصر ، إلا إذا كان هذا ما يسره؟".

يظهر أنّ الشائع في كتابات كثير من المؤرخين الغربيين ، أنهم يعتبرون المسلمين كفارا غير مؤمنين وينكرون جوهر الدين الإسلامي وهو التوحيد. وهذا اتهامٌ خطير وتحريف متعمّد للحقيقة، فالمسلمون أصحاب رسالة سماوية موجهة لكلا الثقلين الإنس والجن.

وكتب أحد الفلاسفة اليهود في القرن التاسع الميلادي :

«من أحد الأسباب التي دعت احترام المسلمين للنصارى، أن أكثرهم كان يعمل في خدمة الملك كموظفين وأطباء، في حين كان اليهود دباغين أو قصابين أو سباكين». (Corbishley، 189)

إن التسامح الإسلامي نابع من صميم عقيدتنا السمحاء وليس لأهداف أو مطامع مادية أو معنوية. إنها من تعاليم ديننا الحنيف أن نحسن معاملة الأعداء والأصدقاء ولا ننتقم منهم في

حالة ضعفهم أو انهيارهم. وأصدق الأمثلة على ذلك معاملة صلاح الدين الأيوبي لريتشارد قلب الأسد العدو الأول للمسلمين ، حيث عالجه وساعد في شفائه.

ويؤكد تسامح المسلمين وصفحهم عن أعدائهم ما ورد على لسان كاتب غربي بعد انتصار المسلمين في حطين :

"وعندما دخل المسلمون المنتصرون المدينة المقدسة نفسها ، لم يكونوا كما كان الصليبيون عند احتلالهم للمدينة في عام 1099م ، إنهم – أي المسلمون – لم يقتلوا شخصاً واحداً من السكان". (Chrisp، 28)

دخول الفريقين مدينة القدس:

من خلال تحليل الجمل والمفردات الواردة في مناهج التاريخ والمقررة على الطلاب في المدارس البريطانية الخاصة ، تم تحديد الأدوار التي قام بها كل فريق ، عند دخوله المدينة المقدسة على النحو المبين في الجدول التالي.

جدول (2)

الفاعل العربي والصليبي عند دخول القدس

الصليبيون	المسلمون
غاص: «كان الرجال يغوصون في الدماء الى ركبهم» امتلأ «امتلأت المدينة بالدماء والجيش» هجم: «هجموا على الشيوخ والأطفال والنساء» برر: «البابا نفسه يبرر القتل والفتك بدماء الأبرياء» قتل: «دخل رجالنا المدينة ، وطاردوا المسلمين ، يقتلونهم أينما وجدوا» دفق: «تدفقت دماؤهم ، وغطت جميع أرض الهيكل» ألقى: «ألقى رجالنا القبض على كثير من الرجال والنساء وقتلوا كل من يريدون قتله» نهب: «ينهبون ويسلبون كل ما وقع تحت أيديهم»	نادى: « تنادوا إلى الجهاد أو الحرب المقدسة» دخل « دخل المسلمون المدينة منتصرين» كان: «لم يكونوا كما كان الصليبيون ، لم يقتلوا شخصاً واحداً من السكان» كتب» «كتب الله النصر وأُعيدت القدس لأصحابها الشرعيين» مارس: «مارس أصحاب الديانات الثلاث عباداتهم» سمح «سمح المسلمون للحجاج المسيحيين بزيارة القدس. عفا «عفا عن عشرة آلاف من فقراء الصليبيين لم يكن بأيديهم شيء يفكون أسرهم» مارس: « مارس أصحاب الديانات الثلاث عباداتهم » ردّ: «رد إلى أم صليبية رضيعها في الحال»

الصليبيون	المسلمون
تاق: « كان الملك ريتشارد توّاقاً لتحطيم الأتراك المسلمين» قسا: «إنّ قسوة ريتشارد قلب الأسد لا تحتاج إلى كلام» قتل: «قتل الأسرى الذين كانوا لديه» امتلأ: «امتلأت المدينة بجثث ودماء غير المؤمنين » ذبح: «ذبح ريتشارد ثلاث آلاف أسير مسلم مقيدين بالسلاسل» قتل: «قتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً»	أرسل «أرسل صلاح الدين الاطباء والهدايا إلى ملك انجلترا » أعاد: « أعاد المدينة المقدسة قائد مسلم بارز ، وذلك بدون وحشية» سلّم: «تسلم عمر بن الخطاب مفاتيح القدس من البطريرك صفرونيوس» عمل: «عومل الأسرى وأهل القدس معاملة استثنائية ، على الرغم من أن دماء المسلمين لم تجفّ» أطلق: «أطلق سراح الملك جاي على أن يعود لفرنسا»

توحي هذه القراءة الأسباب الداعية للحملات الصليبية حيث إنّ دوافعها نابعة عن التعصب الديني ، والمحرض الرئيسي لها – حسب ادّعاءاتهم – أعمال المسلمين الوحشية التي ارتكبوها ضد الحجاج الأبرياء القادمين لأداء فريضة الحج والتبرك بقبر السيد المسيح. وتهدف هذه الحملات إلى إيقاف تعديات المسلمين أو «الأتراك» كما يطلق عليهم أحياناً ، وتلصق بهم أسماء أو صفات تدل على الاحتقار والدونية والتعصب الأعمى ، مثل : «السراسنز» و «الجنس الغريب ، والغريب مطلقاً عند الله». فإذا ما تمّت مواجهتهم ، «فستزول المسيحية من الشرق» ، لذا يزرع في ذهن الملتقّي (التلميذ) أنّ الحرب كانت ضرورية ، وملزمة قبل أن «يمسحوا مملكة الله».

فالحملة الصليبية هي حق وواجب ، ضد شعوب:

«يحاربون حرباً غير عادلة» ، «يجب حفظ الدّم النّصراني»

«الكفار قلتوا وذهبوا إلى جهنم» ، «على الواحد منّا ألا يوفر السراسنز»

«انقضّوا عليهم شاكرين العزة الالهية» ، وعلى لسان المسيح قيل:

«يجب أن تجمع الأطفال وتذهب لتخلص مدينة القدس»

لذلك يبرر قتل المسلمين والفتك بهم لأنهم : «يذهبون من أجل ذلك إلى جهنّم».

يلاحظ بعد تحليل الأفعال أن دور الصليبين ، كما أراد الكتاب موجه إلى إقناع المتلقي بأنّه إيجابي ، وجميع ردود الأفعال من الصليبين هي أمر محتّم ، نتيجة الأفعال السلبية المتكررة من

طرف المسلمين. كما أنه تجاهل ما قام به الصليبيون من أفعال شائنة ومذابح جماعية بحق المسلمين الآمنين من الشيوخ والأطفال والنساء. فمعظم الأفعال الواردة تبدو وكأنها تشير وقائع الأحداث إلى أن الصليبين استعادوا الأراضي المقدسة، ولكن دون أية إشارة إلى المآسي والخسائر التي وقعت في صفوفهم نتيجة الجوع والمرض والإرهاق لطول المسافة ، بالإضافة إلى قتلى الحروب الذين تجاوزوا عشرات الألوف.

لقد فشلت الحملات الصليبية ، ولم يشر أيّ كاتبٍ إلى كيفية خسارتها وفشلها ، ويتجاهل تماماً الفريق الآخر باستعمال ضمير الغائب ، فقد فشلت الحملة الصليبية الأولى التي قادها بطرس الناسك ، تلتها حملة صليبية ثانية بقيادة «لويس وكونراد». كذلك فشلت الحملة الثالثة بقيادة «ريتشارد قلب الأسد» في استعادة مدينة القدس:

«فشلوا في الوصول إلى الأراضي المقدسة»

«الآلاف بيعوا كالعبيد»

لقد توالت الحملات الصليبية حتى جاءت حملة صليبية سابعة بقيادة «لويس التاسع» حيث أسر معظم الجيش وهو نفسه قد وقع في الأسر. إن الكاتب يخفي جميع التفاصيل المتعلقة بهذه الحروب ولا يذكر مقاومة وصمود وشجاعة المسلمين المدافعين عن أراضيهم ومقدساتهم وحتى يتجاهل ذكر القادة الذين خاضوا هذه المعارك محققين نصراً مؤزراً على الصليبيين.

إنّ أنصار التفسير الديني للحملات الصليبية لم يذكروا الفشل الذي حاق بهذه الحملات وانتصار المسلمين في النهاية بعد استردادهم للقدس.

ولم يستخدموا تعبير «مسيحي» للدلالة على الحملات الصليبية ، والنصوص التي وردت لا تشير بالدوافع العميقة الكامنة وراءها. إنّ التاريخ من وجهة نظرهم تمحور حول الذات وتجاهل وجهة نظر الجانب الآخر ، خاصة عندما يتعلق الأمر بنزاع بين شعبين أو حضارتين. ولم يتعرض أحدهم للفترة التي استغرقتها الحملات الصليبية والتي تصل إلى قرنين من الزمان تتابعت خلالها أمواج متتالية من الغزوات. وكذلك لم يتعرض أحدهم أيضاً للممالك والدول المسيحية والاقطاعية التي أقيمت بفلسطين ، ولم يرد ذكر لفلسطين. إن الكتاب لم يسلكوا طريق الحياد بل تجاوزوا الحدود، حين حمّلوا كامل المسؤولية لهذه الحملات إلى جانب واحد، واصفين إياه بالوحشية وحبه لسفك الدماء. أما الجانب الصليبي فهّو يُصَوّر وكأنّه مُعتدَىً عليه، وأنّ كلّ ما يقوم به هو مجرد دفاع عن النّفس وعن المقدسات. إنّ الشخصيات التي تسيطر على الخطاب

المدرسي هي شخصيات صليبية تقوم بدورٍ رئيسي وفعّال في الأحداث التي وقعت بين الفريقين باستثناء شخصية صلاح الدين الأيوبي القائد المسلم.

يقول كرس بروك وآخرون (Brook & Others, 1995) :

«وفي عام 1187م استعاد حاكم مسلم بارز اسمه صلاح الدين ، استعاد الأراضي المقدسة». إنّ ذكر صلاح الدين هو أمر فرضه الأمر الواقع ، لأنه لا يمكن التغاضي عنه حيث فرض نفسه على واقع الأحداث التي أدارها وقادها.

وسنعرض مضامين الرسائل المتبادلة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ، وذلك للاطلاع على وجهات نظر كلّ فريق. ولأنها كانت مشكلة مصيريّة وحاسمه بالنّسبة لكلّ فريق. وهذه هي أهمّ البنود في كلّ رسالة حسب ورودها في كتب التاريخ التي تُدرّس في بعض المدارس الأجنبية الخاصة:

جدول (3)

مضامين رسائل ريتشارد وصلاح الدين

رسالة ريتشارد إلى صلاح الدين	رسائل صلاح الدين إلى ريتشارد
القدس :	القدس :
– مكان عبادتنا	– القدس مقدسة لنا كما هي لكم ، بل هي لنا أهم
– لا نوافق أبداً أن نبرأ منها	– هي معراج الرسول (ص) إلى السماء
– سنحارب حتى آخر رجل	– مكان توحد المسلمين في اليوم الآخر
– نريد الأراضي الواقعة غرب النهر	– هي خارج النقاش والمفاوضات
– لا قيمة للقدس بالنسبة للمسلمين	– لا يمكن التنازل عنها
– الصليب قطعة خشب بالنسبة للمسلمين	– القدس لنا ، واحتلالكم لها مؤقت
– الصليب لا يقدر بثمن بالنسبة للمسيحيين	– مادمتم محتلون سيدوم القتال
– أعطها لنا أيّها السلطان وسنوقف القتال	

يبدو من خلال تحليل محتوى الرسالتين أنّ رسالة القائد صلاح الدين الأيوبي ، صادرة عن شخصية مسلمة مؤمنة ، تعمل للدنيا كما تعمل للآخرة ؛ فهو لا ينكر في رده على ريتشارد قلب الأسد أهمية القدس ومكانتها بالنسبة للمسيحيين، بل يضع نفسه على قدم المساواة مع عدوه بخصوص القدس ، ويزيد على ذلك بأنها أهم بالنسبة للمسلمين حيث عرج منها الرسول (صلى الله علي الله عليه وسلم) إلى السماوات العلى ، وأنها مكان لقاء جميع المسلمين في الدار الآخرة. ومن قراءة ما بين السطور فالقدس مفتوحة أمام المسيحيين لزيارتها والحج إليها ، كما يعتقد بذلك صلاح الدين حين قال «هي مقدسة لنا كما هي مقدسة لكم» في حين ينكر ريتشارد قلب الأسد ذلك.

ولتمسك صلاح الدين بالقدس ، يصرّ على أنها خارج نطاق المفاوضات ولا يمكن التنازل عنها لأي سبب من الأسباب. وسنستمر في إعداد العدة للقتال ما دام فيها صليبي واحد. إنّ هناك تناقضاً واضحاً ومسافةً شاسعةً بين الفريقين ويستحيل أن يلتقيا. فصلاح الدين لا يريد وجود الصليبيين في القدس تحت أيّ ظرف من الظروف وذلك كمقاتلين لا كحجاج. ويؤمن القائد المسلم أنّ الاحتلال لا يدوم وأنّ القتال سيستمر. القدس لا تفاوض ولا مناقشاتٍ بشأنها، لقد حسم صلاح الدين موقفه من القدس.

ويلاحظ التركيز المبالغ فيه على شخصيات الفاعلين من المسيحيين والغربيين في الحملات الصليبية يقابله إغفال كامل لشخصيات الفاعلين من المسلمين أو العرب. ولم يشر الكتاب إلى أنّ السكان الذين فُرِضت عليهم الممالك الصليبية كانوا عرباً، وتكتفي النصّوص بتسميتهم المسلمين «الأتراك» وتم تحديد أغلب رؤساء الحملات بأسمائهم ورتبهم في حين نرى على الجانب العربي والإسلامي إغفالاً كاملاً لأسماء الشخصيات، حتى أننا لا نميز ذكراً لصلاح الدين الأيوبي صاحب الشهرة الواسعة والقائد الذي أعاد فتح مدينة القدس وقضّ مضاجع الصليبيين.

وعلى أية حال فقد كشفت الحروب الصليبية عن الخصائص التي يتميز بها كل من العرب المسلمين في القرون الوسطى والغرب الكاثوليكي حيث كان التناقض مذهلاً. فامتاز الغرب بالتعصب الأعمى والسلوك الوحشي والغدر والانحطاط الأخلاقي، في حين امتاز العرب والمسلمون بالفروسية والشجاعة ونبل الأخلاق. وعلى رغم ذلك فما زالت هذه الحملات تجسد حتى يومنا هذا قيم البطولة والشجاعة في التراث الأدبي الغربي ، يفخرون بها ، ويتذكرونها بمرارة، ولها قيمة تاريخية محفورة في أعماق وجدانهم.

أما الجانب الإسلامي فقد مزقته الاختلافات الواسعة بين حكامه وتشرذمهم وتفرقهم شيعاً متعددة ، وأصبح مصاباً بالإنهاك والتعب ، وعندما فاجأه الصليبيون بالغزو أصيب بالصدمة من هول المفاجأة. فالمسلمون يعتبرون الصليبيين متوحشين لا رحمة في قلوبهم ودخلاء على الأرض العربية. فكيف يمكن السكوت عليهم أو الرضا ببقائهم على أرضنا المقدسة! لذلك واجهوا مقاومة عنيفة وباسلة، وعلى الرغم من صعوبة الظروف وعدم ملاءمتها للوقوف بوجه هذا العدو. «إن الحروب الصليبية لم تكن قتالاً بين جيوش ، وإنما كانت صراعاً بين حضارتين إحداهما متقدمة وهي الحضارة الإسلامية ، والأخرى متخلفة وهي الحضارة الغربية». (Gasem، 1987)

ومع ذلك فهم ينظرون باستعلاء إلى كل ما هو شرقي ويبررون نفيه من الوجود وحتى إزالته

ومسحه بكل الوسائل المتاحة لهم. إنّهم يريدون أن يكونوا مركز الكون ويريدون أن ينجذب إليهم كل العالم ، ولو أدّى ذلك إلى التنازل عن الثقافة والحضارة والهويّة.

أما النصر المؤزّر الذي حققه المسلمون بدمائهم ، فمردّه إلى الوعي العربي والإسلامي وصدق الانتماء ، وإلى وجود قيادة مخلصة حشدت الطّاقات ووحدت الأمة وحددت الأهداف والمصير

"لقد كان هناك وعي عربي إلى آخر مدى ، وكان هناك وعي إسلامي إلى آخر مدى، ولم يحدث التصادم أبداً بين الدائرتين ، وكان هناك وعي حضاري إلىآخر مدى، شارك فيه الأخوة النّصارى. لقد تحوّل المجتمع الإسلامي إلى مجتمع جهاد، وتحوّلت الإمارات إلى إمارات جهاد.

وهكذا أسدل الستار على الحروب الصليبية وعادت جميع حملاتهم خائبة.

وعلق بيتر كرسب (Chrisp، 19921) على ذلك قائلاً :

"ولكنّ الأمر الأكثر غرابة ليس الفشل الذريع للصليبيين ، ولكنهم لم يحققوا أيّ انتصار على الإطلاق ، وبقيت القدس بأيدي المسلمين. وحتى الانتصار الذي حققوه كان بسبب تشرذم الدول الإسلامية.. إنّ الحروب الصليبية خلّفت وراءها الحزن العميق لدى الكثير من النّاس ، ومن بينهم الضّحايا المدنيون في القدس، الذين طالتهم مذبحة عام 1099. وعلى الرغم من هذه المذبحة العظيمة فإن روح الحماس الديني لم تخب. فالصليبيون من أمثال ريتشارد قلب الأسد وجودفري وبولدوين خلّدوا كقادةٍ عظامٍ حيث تغنّى بأعمالهم المغنّون والشّعراء. كما أنّ عبارة "الصليبيون" أخذت معنىً جديداً عاماً، وهو: "كل جهدٍ يحدث في الخارج لتحطيم شيءٍ شرّير"

ما أشبه اليوم بالأمس! إنها مقولة قديمة جديدة!

إنّ الحروب الصّليبية ملحمة مستمرة من الماضي وحتى الحاضر ولم تنته فصولها بعد!

النتائج

أسفرت هذه الدراسة عن النتائج الآتية:

1. تحيّز الكتاب والمؤرخين وزيف الروايات وكثير من أحداث التاريخ المتعلقة بالحروب والحملات الصليبية ، والدور الذي تلعبه في تغيير المفاهيم لدى الطلاب.
2. عدم كفاية مؤلفي الكتب المقررة في المدارس البريطانية الخاصة ، حيث تجاهلوا الحقائق إما عن عمدٍ أو عن جهلٍ.
3. ارتكاب الصليبيين المجازر الجماعية بحق السكان الآمنين وترويعهم.

4. تمزق المسلمين وتفرّق كلمتهم ، شجع العدو على التمادي في العدوان.
5. التعصب الأعمى والسلوك الوحشي لدى الصليبيين، حيث ارتكبوا مجازر جماعية تقشعرّ لها الأبدان وهذا لا يتوافق مع تعاليم المسيح عليه السلام.
6. حسن تعامل المسلمين وتسامحهم مع أعدائهم ، وذلك عندما كان النّصر حليفهم. وهذا مرده التمسك بتعاليم الدين الحنيف.
7. وحدة الكلمة والتآلف والقيادة المؤمنة الحكيمة تقود إلى النّصر.
8. تحرير السلطان صلاح الدين الأيوبي القدس والتمسك بها وعدم التخلّي عنها مهما كانت الضغوط أو الأسباب.
9. خسر كل فريق أعدادا هائلة من البشر ، وذلك دون وجه حق من الجانب الصليبي.
10. -10 تضارب الآراء المتعلّقة بالأسباب الحقيقية التي تقف وراء الحروب الصليبية.

الاقتراحات:

1. تكثيف الإشراف على مناهج المدارس الخاصة ، وعلى وجه التحديد مادة التاريخ ، وذلك من قبل وزارة التربية والتعليم.
2. مراقبة الكتب من قبل وزارة الإعلام عند دخولها مطارات أو موانئ الدولة.
3. القيام بزيارات ميدانية والكشف على المواد التي تدرس للتلاميذ.
4. تعديل هذه الكتب بما يتناسب والحقائق التاريخية ، مع التزام بالمصداقية عند التعديل أو الإلغاء.
5. الطلب من المدارس الخاصة ذات العلاقة إيجاد البديل الذي يتناسب مع السياسة التربوية بدولة الإمارات العربية المتحدة.

المراجع :

1. Abdulkareem، Ahmed (Translator). Civilization War، Atlas Publishing Company، 1984.
2. Aashoor، Said. Al-Mostagbal Al-Arabi. The Crusade and The Future of The Arab Israeli-Conflict، Issue No. 165، 1992.
3. Al-Aguilers، Raymond. History of the Franks Who Captured Jersalem. (in Chrisp Book، p.17)
4. Al-Imad Al-Isfahani. Al-Fateh Al-Gussi fi Al-Fateh Al-Magdisi. Mohamad Soboh، Al-

Dar Al-gawmiah، 1965

5. Anderson، James، Christ Brook and Allan Co Chrane. A Global World. The Open University : Oxford، 1995
6. Aylett، JF& Kevin O'Donnel. The Muslim Experience، Hodder & Stoughton : London، 2000
7. Brian، William، The Late Middle Ages، Cherry tree Press : Hong Kong، 1993
8. Catchpole، Brian، A Map History of the Modern World، "1890 to the Present Day"، 3rd Ed.، Heinemann Educational Book، Ltd. London and Ports month، 1987
9. Chrisp، Peter. The Crusades. Wayland England، 1992
10. Corbishley, Mike Alan, Large & Richard, Tames, Discovering The Past. John Murray Publishers، Ltd. : London، 1997
11. Cuplin، Christopher & David Linsell، Past into Present، Publishing Company، 1984
12. Gasem، A. Gasem. Al-Mostagbal Al-Arabi. The crusade In Western، Euoropian، and Juish Literature. Issue No. 102 Vol. 8، 1987
13. Greenblatt، M. and Peter S. Lemmo. Human Herrit Age، "A World History"، Merrill Publishing Company : London
14. Hayamson، Albert.M. Palestine، The Rebirth of an Ancient Nation. Sidgwick Jakson & Co.، London، 1917
15. Ibn Al-Atheer. Al-Kamel fi Al-Tareekh. Vol. 8، p.189. (in Crisp study).
16. Khan، Z، Al-Islam (1992). The History of Old Palistine. Dar Al-Nasfais : Lebanon.
17. Kirck، George E.، A Short History of the Middle East. Methuen & Co. London، 1964
18. La-Monte، J. L. Feudal Monarachy. (in Nabih Amin Faris، ed.، The Arab Haritage. Prinishton، N.J. : Priniston University Press. (Ramadan Study، 1987)
19. Lemmo، P. & Greenblatt ، John، Human Heritage، "A World History". Merrill Publishing Company، London، 1992
20. Luke، Sir Henry & Edward Keith. Handbook of Palestine & Trans-Jordan، 3 rd Ed.، Macmillan & Co. Ltd.، : London، 1934

21. Miles، Lisa. (1995) Atlas of World History. Usborne Publishing Company، London. 1995
22. Ollier's Encyclopedia. vol.7. William. D. Halsey & Bernard Johnston. Macmillan Educational Company : New York. 1990. p.507.
23. Rees. Rose Mary & Jane Shuter Medevil Times. John Hill Scotland. 1998. p31.
24. Richard of the Holy Trinity. The Journey of King Richard(in Chrisp. 29).
25. Roberson. B.A. Islam and Europe : an enigma or a myth? Middle East Journal. Vol. 48. No. 2. pp. 288308-
26. Show. M.R. Joniville and Villehardouin. Chronicles of the Crusades. London Penguin books. 1973. (in Mona Hammad Study. 1997).
27. The New Encyclopaedia Britannica. (1992) vol. 3. Inc. Robert p. Gwinn. Chairman . Board of Directors. Peter B. Norton. 1992
28. Wood. Tim. The Historical Times. Macdonald Young Books. Hertfordshire : UK. 1995.

ملحق رقم (1) كتب التاريخ التي تمت دراستها والواردة من بعض المدارس الخاصة الأجنبية

1. Al-Aguilers. Raymond. History of the Franks Who Captured Jersalem. (in Chrisp Book. p.17)
2. Anderson. James. Christ Brook and Allan Co Chrane. A Global World. The Open University : Oxford. 1995
3. Aylett. JF& Kevin O'Donnel. The Muslim Experience. Hodder & Stoughton : London. 2000
4. Brian. William. The Late Middle Ages. Cherry tree Press : Hong Kong. 1993
5. Catchpole. Brian. A Map History of the Modern World. "1890 to the Present Day". 3rd Ed.. Heinemann Educational Book. Ltd. London and Ports month. 1987
6. Chrisp. Peter. The Crusades. Wayland England. 1992
7. Corbishley. Mike Alan. Large & Richard. Tames. Discovering The Past. John Murray Publishers. Ltd. : London. 1997
8. Cuplin. Christopher & David Linsell. Past into Present. Publishing Company. 1984

9. Greenblatt، M. and Peter S. Lemmo. Human Herrit Age، "A World History"، Merrill Publishing Company : London.

10. Hayamson، Albert.M. Palestine، The Rebirth of an Ancient Nation. Sidgwick Jakson & Co.، London، 1917

11. La-Monte، J. L. Feudal Monarachy. (in Nabih Amin Faris، ed.، The Arab Haritage. Prinishton، N.J. : Priniston University Press. (Ramadan Study، 1987)

12. Lemmo، P. & Greenblatt ، John، Human Heritage، "A World History". Merrill Publishing Company، London، 1992

13. Miles، Lisa، (1995) Atlas of World History، Usborne Publishing Company، London، 1995

14. Rees، Rose Mary & Jane Shuter Medevil Times، John Hill Scotland، 1998، p31.

15. Wood، Tim، The Historical Times، Macdonald Young Books، Hertfordshire : UK

The Crusades Attack On Jerusalem As Mentioned in History Books Tought in Foreign Private Schools

Dr. Moses Hatamleh

Abstract

The purpose of this study which was conducted at British schools in UAE, is meant to invistigate the influence encountered by the history books writers to students in prapatory and secondary level and it's impact on their points of view.

The results of this study revealed the following points:

- Historians and writers prejudice to the crusaders side against Muslems.

- Crusaders committing and murdering thousands of Mu-

slems, most of them children, women and old.

- Disunity of Muslem states encourage the enemies of Islam attack them.
- The conflict is not religious, it is mainly for wealth and territory.
- The crusades see themselves as defenders of Christianity.
- Wize leadership and unity leads to victory.
- Both sides lose thousands of pepole in the struggle.
- Liberation of Jerusalem from the hands of the crusaders.